حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٧ (عدد أكتوبر – ديسمبر ٢٠١٩)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

إمارة الشعلان
ظروف النشأة وأسباب الانهيار

دغيمان فاضي دغيمان الرشيدي *

طالب دكتوراه جامعة الملك سعود في الرياض

المستخلص

تأتي أهمية البحث في تاريخ إمارة الشعلان من أهمية الدور الذي لعبته في بدايات القرن العشرين والدور الذي أدته هذه الإمارة في التاريخ الحديث في شمال الجزيرة العربية والظروف السياسية التي رافقت نشوء الإمارة في المنطقة في وقت عصيب مرت به المنطقة العربية فيسلط البحث الضوء على الظروف التي نشأت فيها هذه الإمارة في ظل قوى تنافست على مد نفوذها إليها واستطاع الشعلان من خلال ذلك الصراع تأسيس إمارتهم في الجوف١٣٢٦هـ/١٩٠٨م سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢١م ولكن هذه الإمارة لم تستطع الاستمرار لأسباب عدة ساهمت في سقوطها ويتناول هذا البحث ظروف نشوء الإمارة وظهور الشعلان ومد نفوذهم على الجوف ودخولهم في صراع مع القوى في المنطقة ومحاولتهم تكوين علاقات مع القوى الأخرى في سبيل المحافظة على إمارتهم في ظل عوامل محلية وأقليمية ودولية ساهمت في صعوبة استمرار الإمارة وسقوطها.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٩.

تقع الجوف عند الطرف الجنوبي الشرقي لوادي السرحان وينسب إلى بطن كبير من قبيلة طي كانت تُعرف سابقاً" جوف آل عمر"شمالي النفود الكبرى .كما كان يُشار إلى الجوف باسم" جوف السرحان "أيضا(١).

تجدر الإشارة هنا إلى أن" الجوف "يُطلق على دومة الجندل كما أنه يطلق على مجموع القرايا التي قاعدتها(دومة الجندل)(٢). وأما منطقة الجوف في العصر الحاضر بنطاقيها الجغرافي والإداري فهي تلك المنطقة الواقعة شمالي غرب المملكة العربية السعودية .ويحدها من الشمال والشمال الشرقي إمارة الحدود الشمالية ومن الشمال الغربي حدود المملكة الأردنية الهاشمية، ومن الغرب إمارة تبوك .ومن الجنوب الشرقي إمارة حائل وتشغل هذه المنطقة مساحة تبلغ ٥٢٤ ، ٥٨ كيلو مترا مربعا تقريبا.

تتمثل بهذه المنطقة أنواع من التضاريس المختلفة من مرتفعات ومنخفضات ووديان وسهول_ومناخ المنطقة قاري صحراوي بارد شتاء وحار جاف صيفا وتسقط أمطاره شتاء وتقل صيفا تمتاز منطقة الجوف التي حباها الله بعنصرين حيويين هما وفرة المياه وعذوبتها في الينابيع وكذلك المياه المتجمعة في الآبار بعد نزول المطر والتي تكون وديان كبيرة كوادي السرحان أما تربة الجوف فهي من أجود أنواع التربة وقابليتها للزراعة(٣).

تتميز منطقة الجوف بأنها منطقة زراعية وأرضها خصبة للزراعة وتوفرت لها المياه العذبة وكانت أحد المقومات الاقتصادية الرئيسة.

وصل نفوذ الدولة السعودية ألأولى إلى الجوف في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م (٤). وقد استمر النفوذ السعودي على الجوف حتى سقوط الدولة السعودية الأولى وقد ربطت بحائل إداريا. وفي عام ١٢٦١هـ/١٨٤٥م يذكر الرحالة أوغست أولين الذي زار المنطقة تعيين ممثل للإمام السعودي على الجوف(٥).ويقصد بذلك الإمام فيصل بن تركي في الدولة السعودية الثانية .

خضعت الجوف بعد ذلك لحكم آل رشيد فقد استطاع عبدالله بن رشيد بسط سيطرته على الجوف ودفع الزكاة له ولم يعين واليا له عليها وكانت المنازعات الصغيرة تُحل عن طريق أمراء البلدة ماعدا المشكلات الكبيرة تُعرض على أمير حائل واستطاع طلال الرشيد إخضاع الجوف مرة أخرى ونصب واليا من قبله (٦).

استمر حكم أمراء آل الرشيد للجوف لا ينافسهم فيه أحد في هذه الفترة من حكم طلال الرشيد حتى جاء عهد محمد العبدالله الرشيد. فطرأ تغييرات كبيرة على المنطقة فقد تدخلت الدولة العثمانية في الجوف لأهميتها في مسألة حفظ أمن القوافل ومحاولة ربط سيطرتها على الجزيرة العربية عقب شق قناة السويس وسيطرة على الجوف باعتباره قضاء تابعا لوالي الشام وخوف من الخطر الأجنبي في المنطقة وأرسلت حملة للجوف سنة ١٢٨٦هـ/١٨٧٢م ولكن محمد العبدالله الرشيد حاكم حائل استطاع ابعاد الدولة العثمانية عن الجوف بعد أن تفاوض معهم(٧).

بقيت الجوف تحت حكم أمراء الجبل مرة أخرى ولكن في أواخر عهد الإمارة وتقاتل الأمراء تراخت قبضة حكام حائل عليها وعادت الجوف إلى الفوضى مرة أخرى والانقسام بين الزعماء المحليين الذين يطمع كل واحد منهم بالإمارة وحاولوا الاستعانة بالقوى الموجودة في المنطقة.

التعريف بأسرة الشعلان

تنتمي عائلة الشعلان إلى قبيلة الرولة من عنزة والرولة من ولد مسلم الجلاس الذين ينتمون له الشعلان من أكبر عشائر عنزة عددا وأعظمها قوة وأوسعها نفوذا وتنزل البادية الممتدة من جبل شمر قرب الجوف إلى جنوبي حوران هاجر الرولة في أوائل القرن الثالث عشر واستوطنوا سورية[٨].ومن ذلك الوقت لم تنقطع صلتهم بالجزيرة العربية فاستوطنوا وادي السرحان وأصبحوا في القرن الرابع عشر لهم قوة ونفوذ واضح على قبائل وادي السرحان امتد للجوف بدليل كثرة غزواتهم للمنطقة وقبائلها[٩].

ينقسم الشعلان من الرولة إلى قسمين المشهور والعبدالله وفي القرن التاسع عشر تشير المصادر إلى تولي الدريعي وهو من المشهور وولده صحن مشيخة الرولة وقد يكون أقدم ذكر للمشيخة في عام ١٢٧٤هـ/١٨٥٨هـ ثم بعد ذلك تولى فيصل بن نايف بن عبدالله بن منيف بن عزيز بن شعلان والذي قتل سنة ١٢٨٠ه/١٨٦٤م و تولى المشيخة بعده سطام الشعلان والذي ذكره أويتنج في زيارته للمنطقة١٢٨٦هـ/١٨٧٠م[١٠]. وبعده تولى شيخ الرولة هزاع بن نايف بن شعلان والد النوري والذي ذكرته وثيقة عثمانية مؤرخة عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢وأنه مُنح وسام عثماني من الدرجة الثالثة نظير خدماته للدولة العثمانية[١١].

الوضع السياسي للجوف قبل الشعلان

لقد كان الوضع السياسي في المنطقة وقبيل قدوم حكام الشعلان إليها يموج بكثير من التقلبات في وقت حساس جدا من أوقات التاريخ الحديث سواء ما يتعلق بالجوف حاضنة الإمارة أو ما يتعلق بالوضع العام خارج هذه الواحة أما فيما يتعلق بالوضع الداخلي للجوف قبل قدوم الشعلان فلم يكن مستقرا لوجود أحياء الجوف الكثيرة أو ما تسمى (الأسواق).

تتألف هذه الأسواق من اثني عشر سوقا لكل سوق شيخ ينتمي لقبيلة من قبائل المنطقة ومن أبرز الأسواق سوق ابن درع وسوق ابن قعيد وسوق السراح [١٢].

بدأت تكثر النزاعات بين هؤلاء الأمراء في السنوات الأولى من القرن الرابع الهجري وتطلع كل واحد منهم للإمارة على الجوف مما جعلهم غنيمة سهلة لأولئك الطامعين من خارج المنطقة وتدخلهم في شؤنهم الداخلية بحجة فرض الأمن في هذه الواحة تسلل التدخل الخارجي من قبل الإمارة الأقرب لهم وهم آل الرشيد والذي بسطوا نفوذهم على المنطقة ودفع لهم أهل الجوف الزكاة على أن هذه السيطرة كانت تضعف بحسب حالة إمارة آل رشيد السياسية مما لم يمنع البلدة من اضطراب الأمن وتهديد البادية لهم وهو ما ذكره موسيل بقوله يضطر كل سوق(حي) بدفع (خوة) [١٣]لشيوخ القبائل الرئيسية مثل الشرارات والرولة[١٤].

يبدوا أن هذا الأمر ليس على إطلاقه بل يكون دفع تلك الأخاوة عندما تموج المنطقة بالفتن وينفلت الوضع السياسي والأمني في المنطقة فيستعين أهل المنطقة بتلك القبائل لترجيح كفة أحدهم على الاخر أو حمايته.أو حل المنازعات بينهم بدليل استعانتهم في أوقات مختلفةبقوى أخرى من خارج المنطقة كالدولة العثمانية[١٥]. ويبدو أن تلك الاستعانة لم تحقق الأهداف التي أرادها أهل الجوف،وساهمت في أزدياد الصراع بين ابن رشيد وأهل الجوف.

أسهم في زيادة هذا الصراع على ما يبدو ضعف الدولة العثمانية وهو مايؤيده موسيل بذكره أن أهل الجوف اضطروا لدفع الزكاة لابن رشيد في وقت كانت إمارة

الجوف تمر بمراحل ضعفها ولكن في فترة قوتها لم يكن هذا الشيء يحدث بدليل أن الرحالة هوبر وأويتنج لم يذكرا ذلك في زيارتهما قبل موسيل.

كان تسارع الأحداث وتزامنها من اقتتال أمراء آل رشيد وظهور القوة الجديدة الناشئة في الجزيرة العربية متمثلة في الملك عبد العزيز آل سعود وضمه للبلاد واحدة تلو الأخرى وقرب سقوط حائل في يديه يتزامن مع بروز النوري الشعلان في منطقة الجوف وقبيلته الرولة والذي فرض هيبتها على القبائل وأصبح مرهوب الجانب كان هذا كافيا ليمد الشعلان نفوذهم للجوف وسط هذه الصراعات ويكونوا إمارتهم(١٦).

تأسيس الإمارة

تتحدث بعض المصادر ككتاب من شيم العرب والذي كان مؤلفه معاصراً للأحداث على أن هناك محاولات قبل تأسيس الإمارة الفعلية سنة١٢٢٦هـ/١٩٠٨م مبكرة قبل هذا التاريخ من قبل آل الشعلان في منطقة الجوف، وأن أولى تلك المحاولات كانت عندما قدم هزاع الشعلان وقابل القائدان التركيان محمد سعيد باشا وصبحي باشا١٢٨٩هـ/١٨٧٢م وقاما بحملة عسكرية على الجوف(١٧).

بينما يذكر الأنصاري أن تاريخ الحملة سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م و أن الأمير بندر بن طلال الرشيد كان هو الحاكم على الجوف وأن آل الشعلان سيطروا على المنطقة دون أن يحدد اسم أحدا منهم، وذكر يوليوس أويتنج أن الشيخ هو سطام الشعلان ودليل الحملة هزاع الشعلان وأن الحدث١٢٨٦ه/١٨٦٩م وكما اختلفت المصادر في تاريخ الحملة وقائدها اختلفت في سبب قدومها فبينما يُرجع أحد المصادر أن السبب شكوى أهل الجوف من ادعاءهم الجور والظلم من قبل محمد الرشيد وذكر سنة القدوم ١٣٠٩ه/١٨٩١م(١٨).

ولم يذكر الجاسر سنة الحملة وذكر أن السبب نهاية حكم الإمام فيصل بن تركي والفوضى السياسية التي حدثت في نجد والتي تأثرت بها الجوف .بينما يذكر أحد المراجع تاريخ قدوم الحملة ١٢٨٦هـ /١٨٦٩م ولم يذكر اسم أمير الشعلان آنذاك وأن السبب ربط ولايات الدولة ببعضها مخافة الخطر الأجنبي. ويذكر أحد أبناء الجوف عبر الروايات الشفهية أن قدوم الحملة سنة ١٨٦٩/١٢٨٦م وسببه الظلم الذي وقع على أهالي الجوف. وهو ما يؤيده مرجع آخر في قدوم الحملة سنة ١٢٨٦هـ /١٨٦٩م ويعزو السبب لخلاف داخلي بين الأهالي(١٩).

من خلال الآراء السابقة وعند دراستها وتحليلها نرى أن سنة الحملة عند فهد المارك تخالف بقيت المصادر وهو الأمر المستغرب لقربه للحدث بينما المصادر الأخرى كانت قريبة من تحديد سنة الحملة. ولكن وثيقة عثمانية أثبتت وحددت بدقة أن الحملة كانت ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م وأن شيخ الرولة آنذاك هزاع الشعلان والد نوري الشعلان(٢٠).

أما أسباب الحملة فقد قد تكون آراء المصادر مقبولة والرأي الأضعف رأي الجاسر لأن محمد عبدالله آل رشيد قد استقل تماما بإمارة الجبل سنة ١٢٨٩هـ، بينما يميل الباحث إلى الرأيين الأخيرين وأن التقاء المصالح والذي دفع أهل الجوف لرفع الظلم الذي وقع عليهم واستغلال الدولة العثمانية لهذه الحادثة لرغبتها في ربط ولاياتها ومنع الدخول الأجنبي للمنطقة هما أقرب الأسباب.

نرى من خلال المصادر أن هناك محاولات مبكرة لتأسيس أمارة لشعلان في الجوف ولكنها لم تنجح لاصطدامها بحاكم حائل القوي محمد العبدالله الرشيد وغادرت الحملة بعد مفاوضات بين الطرفين .على أن نوري الشعلان زعيم الرولة استطاع أن يبرز بعد ذلك ودانت له قبيلة الرولة وكان يأتي في المرتبة الرابعة بعد الشريف حسين وابن سعود وابن رشيد(٢١).

استطاع نوري الشعلان في سنة ١٣٢٢-١٣٢٣هـ/١٩٠٤-١٩٠٥م السيطرة على وادي السرحان وهزيمة قبائله بني صخر والشرارات والحويطات فأصبح وادي السرحان يسيطر عليه الرولة سيطرة تامة .

ويبدو أن هذه الغزوات أثرت على القوافل التجارية وقوافل الحجاج مما جعل الدولة العثمانية تغضب من ذلك التصرف وتوعز لوالي الشام سامي باشا الفاروقي بالقبض على نوري الشعلان وإيداعه السجن في دمشق بل والطلب منه أن يكف يد أبنه نواف النوري الشعلان عن مهاجمة الجوف ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ولكنه لم يفعل واستمر أبنه نواف يهاجم الجوف(٢٢).

ساعدت الظروف نواف الشعلان عندما اتصل به زبن بن قعيد أحد وجهاء ومشايخ الجوف و رأى ماحل ببلدته من انعدام الأمن والعداوة بينه وبين جماعته وجيرانه من سكان دومة الجندل وشاهد ماحل بابن رشيد من ضعف فعرض على نواف الشعلان إمارة الجوف ومساعدته في حكمها ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م(٢٣).

برزت بعد ذلك شخصية نوري الشعلان في منطقة الجوف وفرض هيبته على القبائل وكسب احترام الدولة العثمانية وتطلع لحماية سكة حديد الحجاز ومطالبة القبائل العربية من خط سكة الحجاز بالزكاة وكذلك قبائل منطقة الكرك ولعل نوري الشعلان وابنه قد استقلا عن الدولة العثمانية وهو مايفهم من عدم ذكر اسم السلطان العثماني في خطبته (٢٤).

ويميل الباحث إلى صعوبة استقلال الشعلان في ظروف سياسية وقوى محيطة به مما يثير الدولة العثمانية عليه وقد تتحرك ضده مما ينذر بسقوط إمارته وأن عدم ذكر اسم السلطان يرجع إلى تأثر الجوف بالدعوة السلفية وكان قاضيها من السلفية والتي كان لها موقف من السلطان العثماني وماشاهدوه من حملات عثمانية عنيفة على نجد في السابق.

امتدت سيطرة النوري الشعلان وابنه نواف على الجوف كما يذكر فالين بعد هزيمة الشعلان سعود الحمود الرشيد في عيد الأضحى ١٣٢٧هـ/١٩٠٩ بعد حصار رجال ابن رشيد في قصر خزام (٢٥)وغادر موسيل والنوري إلى دمشق بعد أن استتب الأمن وأصبح الجوف في حكم نواف بن النوري الشعلان ١٩٠٩/٧/٢١م (٢٦).

<u>نظام الحكم- القضاء -إدارة المقاطعات- عسكر الإمارة- الموارد المالية</u>

لقد كان نظام الحكم في إمارة الشعلان بسيطا أقرب للحكم القبلي وربما أثرت حياة عدم الاستقرار والترحال الذي ألفه آل الشعلان ولم يألفوا الاستقرار ولكنهم أحبوا النفوذ والسيطرة دون الارتكاز على أي دعامة من دعائم الحضارة والاستقرار التي تتطلب قيام الحكم واستمراريته(٢٧).

كان الحكم يقوم على الأمير نواف الشعلان وله نواب من مماليكه يعتمد عليهم في إدارة المقاطعات فكان للحاكم ابن شعلان مجلس يجلس فيه كل يوم مقدار ساعة يحضره مئات الناس من القرويين والبدو ويتحاكم أمامه الخصوم فيحكم بالعرف البدوي.

لم يكن هناك حسب المصادر تنظيم إداري فكل السلطات بيد الأمير ومماليكه. ولكن تكشف بعض المصادر أن هناك قاضي شرع تحال إليه الأحوال الشخصية التي لا يستطيع الأمير البت فيها والمتعلقة بالأحكام الشرعية(٢٨).

ولعل هذا من تأثر المنطقة بالدعوة السلفية وانتشارها. ويدل على ذلك وجود خطبة يقوم بها قاضي الشرع السلفي ويوجد قصر للإمارة يضاهي بفخامته قصور الشام وهناك في القصر مجلس خاص للأمير(٢٩). وقد أهتم آل شعلان وخاصة نواف الشعلان ببناء

القصور ولعل قصر ابن شعلان في دومة الجندل والذي بناه نواف بعد سيطرته على الجوف سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م وقصر كاف المشهور في القريات عام ١٣٣٨هـ دليل على ميل نواف الشعلان للحكم والاستقرار بعكس والده والذي لم يراوده ذلك الطموح(٣٠).

ويلاحظ الباحث أن هذه القصور قصد منها أن تكون بمثابة القلاع للدفاع عن الجوف في حالة تعرضت للاعتداءات من جيرانها وقد كانت في مناطق متباعدة رغم ما تميزت به من جمال والتي ذكرها التنوخي في رحلته وقال عنها أنها تضاهي قصور الشام،ولعل ذلك راجع لما رأوه آل الشعلان من القصور في سورية وتأثروا به.

أما بالنسبة لعسكر الإمارة فقد كان يتكون من حراس االأمير وهم مماليكه في داخل القصر وخارجه وفي حالة الحرب ليس هناك جيش نظامي بل يتكون من حاضرة الجوف والبادية حول المنطقة(٣١).

أما بالنسبة للموارد المالية فقد تحدثت المصادر بنوع من الاقتضاب عن شيء من الموارد المالية واسهبت في البعض الآخر ويبدو أن تجارة الملح كانت أحد الموارد الرئيسة التي تدر دخلا جيدا بسبب وجود قريات الملح في هذه المنطقة ووفرة انتاجه. وذكرت المصادر أن الأمير نواف الشعلان يتقاضى أربع مجيديات عن كل جمل يحمل الملح وينقلها الى جبل الدروز وحوران فجمع ثروة كبيرة من هذه الملاحات(٣٢).

كانت تجارة القوافل والتعامل التجاري مع سورية أحد أكبر الأسواق القريبة من المنطقة وكانت الواحات وغناها بالنخيل التي بلغت عشرين ألف نخلة عدا المنتوجات الأخرى من الخضروات والفواكه كالمشمش والعنب والبامية والخضار وغيرها من البساتين تدر ريعا كبيرا على المنطقة إلى جانب ما يفرضه الأمير من ضرائب وما يكسب من الغزو المستمر مع القبائل الأخرى وما يفرض عليها من الزكوات (٣٣).

علاقات الإمارة بالقوى المحيطة(الدولة العثمانية–آل رشيد–آل سعود– الأشراف– بريطانيا –فرنسا)

كانت الفترة التي تولى فيها الشعلان إمارة الجوف فترة حرجة ومفصلية من فترات التاريخ فقد كان يحيط بالإمارة قوى متعددة بعضها داخل الجزيرة العربية والآخر خارجه وكانت هذه القوى تؤثر على إمارة الجوف مما جعل آل شعلان يتعاملون مع كل قوة على حدة وحسب الأهمية ومصلحة الإمارة وليس على وتيرة واحدة بل هادنوا بعض القوى وتصادموا مع بعضها الآخر وتعايشوا في أوقات معينة مع بعضها فوتيرة هذه العلاقة تخضع لظروف الإمارة من ناحية قوة الارتباط فكانت علاقة الإمارة مبكرة مع الدولة العثمانية من خلال ترحال الرولة عبر بادية الشام والجوف وتذكر المصادر ان الدولة العثمانية حاولت توطين كبار شيوخ عنزة وجعلهم ملاك أراضي ومنحتهم ألقابا ونياشين وقروض مالية وخاصة شيوخ السبعة والفدعان وولد علي ولكنها لم تحقق نجاحا مع الشيوخ الآخرين مثل هزاع الشعلان عندما حاولت إعطاؤه الجوف ومد نفوذها إليه (٣٤).

ولعل الحكومة رمت من تلك التدابير إلى كف أيدي تلك القبائل عن الاعتداءات على قوافل الحج وإيجاد ملاك أراضي يدرون عليهم ضرائب جيدة .ولكن عندما تولى نوري الشعلان مشيخة الشعلان تغيرت نظرة الدولة العثمانية لنوري الشعلان نظراً لمزاحمته النفوذ العثماني وتوسيع نفوذه للجوف مما كان يشكل خطراً أمنيا وسياسيا واقتصاديا على الدولة العثمانية وتهديد قوافل الحج ومزاحمة الاقتصاد العثماني في تجارة القوافل.

فسجن الوالي العثماني سامي الفاروقي نوري الشعلان بل وحاولت الدولة العثمانية منع نواف الشعلان من دخول الجوف فساءت العلاقة أكثر من السابق.

ويبدو أن الدولة العثمانية اعتمدت في سياستها على ابن رشيد حليفها القوي والقديم ونظرت بعكس ذلك للشعلان الذي لم تعده مواليا ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م وخشيت من طموحه السياسي في ظل ظروف داخلية وخارجية صعبة تعاني منها الدولة العثمانية مما أسهم في ضعف علاقة الشعلان بالدولة العثمانية في هذه الفترة [٣٥].

طرأ تغيير على علاقة الشعلان بالدولة العثمانية في الفترة التالية وتحديداً في عام ١٣٣٠هـ /١٩١٢م وبدأت الدولة العثمانية تحسين علاقتها بالشعلان فقد دل حدثين نستشف من خلالهما على ما يبدو تحسنا في العلاقات بينهما فقد تجاهلت الدولة العثمانية شكوى أهل الجوف ضد نوري الشعلان وكذلك لم تجب طلب سعود الرشيد من الأسلحة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م بحجة توفير الأمن بل ويثبت خطاب من والي الشام حول النوري أنه ملتزم للدولة ويقدم أعمالا جيدة لها وضرورة كسبه وزيادة راتبه بل وتعيينه قائمقام ١٣٣٢هـ/١٩١٤هـ[٣٦].

ويبدو من خلال البحث أن هذا التقرب لإمارة الشعلان سببه قرب الحرب العالمية الأولى وتحالف المانيا مع الدولة العثمانية لكسب ولاء زعماء القبائل في تلك المنطقة وإفشال المخطط البريطاني بقيادة لورنس والذي كان يهدف إلى تأليب مشائخ القبائل العربية على الحكم العثماني والثورة عليه والذي كان في سباق مع موسيل والذي أراد كسب هذه القبائل لصالح الدولة العثمانية في وانضمامها للدولة العثمانية عند قيام الحرب.

وكان حضور موسيل للمنطقة في هذه الفترة يؤكد ذلك بدليل توسطه لإطلاق نوري الشعلان في نفس السنة وحاول موسيل كسب الشعلان وابن الرشيد والصلح بينهما لتشكيل جبهة موحدة بعد ذلك.

زودت الدولة العثمانية قبائل الشعلان بالمؤن والأموال والأسلحة ١٣٣٥هـ/١٩١٧م وأرسلت قوة عسكرية وأربع رشاشات مع نواف الشعلان وأعلن النوري ولاؤه للدولة وأهداها ثمانمائة من الأبل ووعدها بالقتال بحملة السويس وكان أحمد باشا خلال الحرب يرسل لنوري الشعلان ٢٠٠٠٠ألف ليرة ذهبية كل شهر[٣٧].

ويبدو أن العلاقة بين أمارة الشعلان والدولة العثمانية تحسنت لأجل الظروف السياسية للمنطقة ومحاولة كسب نوري الشعلان ولكنها جاءت متأخرة جدا.

ويبدو أن نوري الشعلان كان يوالي العثمانيون خوف من بطشهم فتصرفاته لا تدل على ولاؤه لهم فقد تنصل من الاشتراك في حملة السويس وكان في الوقت ذاته يقوم بإيواء القوميون العرب[٣٨].

ويرى الباحث ان النوري الشعلان قد أدرك من خلال تجاربه مع ولاة الشام وتعاملهم معه أن تلك المحاولات لجذبه إليهم وقتية فتظاهر بموالاتهم خاصة أنه في نفس الوقت يتبادل الرسائل مع الأمير فيصل بن الحسين واجتمع بلورنس الضابط البريطاني الذي قدم لنفس الهدف فانتظر النوري حتى يرى ما تسفر عنه الحرب فلما كانت الغلبة للأمير فيصل وبريطانيا انقلب على العثمانيين واشترك في حربهم.

أما علاقة إمارة الشعلان بإمارة حائل فيبدو أنها كان عدائية من بدايتها فعند قيام إمارة الشعلان ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م وهزيمة الشعلان لسعود الرشيد ١٣٣٧هـ/١٩١٩م بعد أن وصلت إمارة حائل درجة كبيرة من الضعف وتقاتل الأمراء بينها ولم يكن لهم من حكم الجوف سوى الاسم والحامية الضعيفة في دومة الجندل فاستخلص الشعلان الجوف من آل رشيد ويبدو أن الصراع امتد قبليا بين قبيلتي شمر وعنزة والقبائل الموالية لشعلان وآل رشيد ويدل على ذلك كثرة الحروب ١٣٣١-١٣٣٢هـ/ ١٩١٣-١٩١٤م .

تدل المصادر على أن الشعلان سيطرو على الجوف حتى ١٣٣٧هـ/١٩١٩م عندما استعاد سعود عبد العزيز المتعب الرشيد الجوف مؤقتا تحت حماية أخواله السبهان ولكن يبدو ان هذا الانتصار لم يدم طويلا وأنه كان بتعاون من أهالي الجوف ولم يلبث أن استعاد الشعلان الحكم بل وهددوا حائل نفسها ١٣٣٩هـ/١٩٢١(٣٩).

أما بالنسبة لعلاقة إمارة الشعلان ببريطانيا والأشراف فقد كانت متداخلة والذي يبدو أن تلك العلاقة كانت من خلال الأشراف فقد كان الشعلان على علاقة حسنة بالحسين بن علي وأبنه فيصل لذا؛ طلب فيصل من نوري الشعلان أن يبقي على صداقته ظاهريا مع الدولة العثمانية لخداعهم مع أنه ملتزم بتحالفه مع فيصل.

وقد دلت رسائل الشريف حسين للبريطانيين ورسائل أبنه فيصل وأموالهما على أن علاقة الإمارة كانت جيدة فقد كتب الحسين خطاب للمعتمد البريطاني ١٣٣٤هـ/١٩١٦م أخبره بتأييد الشعلان للثورة في حين تبادل فيصل بن الحسين الرسائل مع النوري الشعلان وأكد الانضمام إليه عند وصوله للأردن فيما أكد لورنس في خطابه للجنرال كلايتون أن النوري وأبنه نواف منحازان للثورة وكان فيصل منذ سنوات تربطه صداقة مع النوري الشعلان من خلال تبادل الهدايا معه عندما كان في المدينة وينبع وعندما وصل الوجه أرسل فايز الغصين إلى النوري وعاد ومعه هدايا قيمة محمولة على مئات من الجمال وقد أكد تلك المعلومة موسيل والذي تربطه بالشعلان علاقة قوية وعاش بين قبيلة الرولة فترة من الزمن.

فما الذي جعل بريطانيا تحرص على أن يكون بينها وبين إمارة الشعلان اتصال عن طريق الأشراف في هذه الفترة ؟من خلال قراءة المصادر وبعض المراجع القريبة للأحداث نجد أن بريطانيا قد رأت أن هناك نذر حرب في المنطقة فكانت الظروف السياسية في المنطقة العربية تحتم زيادة كفاءة اتصالاتها ومواصلاتها لتحافظ على الصلات بين أجزاء الامبراطورية فحاولت بريطانيا مد سكة حديدية بين معان في الأردن والمساهمة إلى حد كبير في مساندة الثورة العربية بتوحد الزعماء العرب خلف قيادة موحدة حتى تستطيع ضرب الدولة العثمانية وتجبرها على عدم نقل جنودها من الجزيرة العربية لمساندة القوات الأخرى في العراق والشام فبرزت أهمية دور إمارة الشعلان بما تتمتع به من موقع استراتيجي و أن تعاون الشعلان سيفتح أمام الثورة وادي السرحان(٤٠).

أما علاقة الشعلان بالملك عبد العزيز فتشير المصادر ان العلاقة بين الملك عبد العزيز والشعلان جيدة قبل سقوط حائل وأن النوري طلب من الملك عبد العزيز مساعدته عندما هدد آل رشيد الجوف ولكن الملك عبد العزيز اعتذر لوجود صلح بينه وبين ابن رشيد ولكنه قدم إليه النصيحة وعندما ضم الملك عبد العزيز حائل توترت العلاقة بين الشعلان والملك عبد العزيز وربما ساهم عبدالله ابن الحسين في ذلك والبريطانيون من جهة أخرى إلا أن الأكيد ان الملك عبد العزيز كان يراوده الطموح بضم المنطقة لحقوقه التاريخية فيها وأنها كانت ضمن الدولة السعودية الأولى والثانية وتحت نفوذهما ومخافة ضمها لشرق الأردن وهو ما استطاع الملك عبد العزيز حلها في اتفاقية حدة ١٣٤٣ه/١٩٢٥م ومانجم عن الحدود من مشاكل وتغذية بريطانيا لهذا الصراع إلا أن العلاقات الطيبة بقيت بين الشعلان والملك عبد العزيز بل وثق النوري تلك العلاقة بتزويج الملك عبد العزيز حفيدته ابنة نواف وكان النوري يلقى كل حفاوة وتكريم من الملك عبد العزيز آل سعود (٤١).

أما بالنسبة للعلاقات الفرنسية مع الشعلان فقد جاءت متأخرةبعد أن احتل الفرنسيون دمشق وأسقطوا حكم فيصل بن الحسين١٣٣٨ه/١٩٢٠م وتشير بعض المصادر أن الشيخ

النوري قابل الجنرال غورو وقدم له سيفا عربيا وعقد مع المندوب الفرنسي الكالونيل كاترو اتفاقا تعهد فيه بحراسة القوافل في البادية وحماية السكان الحاضرة وتأمين السلام بين العشائر لقاء تأييد رئاسته على الرولة وتوابعها وعشائر جبل الدروز وحوران ووادي السرحان لقاء ألفي ليرة ذهبية عثمانية وراتبا شهريا ولقب ذلك الحين بالأمير وعندما قامت الثورة السورية١٣٣٨ه/ ١٩٢٥م لم يشترك فيها ومنحوه وسام جوقة الشرف من درجة فارس ثم رفعوه إلى كوماندور .

ويبدو من خلال البحث أن النوري اضطر لهذا الشيء عندما وضح نفوذ الدول العظماء في المنطقة فأراد دفع شرهم عنه ولم يشترك ضدهم أو معهم خاصة وقد وصل في عمره إلى سن متأخرة وقد مل الحروب واستقر في الشام في الحي المعروف بحي الشعلان حتى وفاته ١٣٦١ه/١٩٤٢م.

Abstract

Emirate of Shaalan

Growing conditions and causes of collapse

By Dgiman Fadi Dgiman Al - Rashidi

The importance of research in the history of the Emirate of Shaalan comes from the importance of the role played by the Emirate in the early twentieth century and the role played by this emirate in the modern history in the north of the Arabian Peninsula and the political circumstances that accompanied the emergence of the Emirate in the region at a difficult time experienced by the Arab region. Where this emirate under the forces competed to extend its influence and Shaalan was able Through this conflict the establishment of their emirate in al-Jawf 1326 AH / 1908 AD in 1340 AH / 1921 AD, but this emirate could not continue for several reasons contributed to its fall. In order to preserve their emirate in the light of local, regional and international factors contributed to the difficulty of the continuation of the emirate and its fall.

الهوامش

[١] – عبد الرحمن أحمد السديري،الجوف وادي النفاخ ،الرياض،مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية،الطبعة الثانية،١٤٢٦هـ،صـ٢٠-٢١.

[٢] –عز الدين التنوخي ،الرحلة التنوخية،جمع وتحقيق يحيى عبد الرؤف جبر،عمان،مطابع دار الشعب ، الطبعة١٩٨٥،١م،صـ١٣٣٢-١٣٣

[٣] – السديري ،وادي النفاخ ،صـ٢٠-٢١

[٤] – عثمان بن بشر،عنوان المجد في تاريخ نجد،تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبدالله آل الشيخ،جـ١،الرياض،دارة الملك عبدالعزيز،الطبعة الرابعة،١٤٠٢هـ،صـ٢٠٨

[٥] – السديري،الجوف وادي النفاخ ،صـ١٢٣.

[٦] –محمد عبدالله الزعارير،إمارة آل رشيد في حائل ،بيسان،دم، الطبعة١٩٩٧،١م،صـ٩٤-٩٥

[٧] –مطلق البلوي،العثمانيون في شمال الجزيرة العربية ،بيروت،الدار العربية للموسوعات،

الطبعة٢٠٠٧،١م،صـــ١٦-١٨-٢٢-٢٥-٢٦

[٨] – أحمد وصفي ،عشائر الشام،صـــ ٣٧٦-٣٦٩-٣٧٠-٤٣٣

[٩] –.العطية أوراق جوفية،صـــ١٧٥-١٧٦.السديري،وادي النفاخ،صـــ٢١١-٢١٣-٢١٤.الريحاني،تاريخ نجد،صـــ١٩-٢٤٢

[١٠] أخلاق الرولة،صـــ١٨٩.أوبنهايم،البدو،جـــ١،صـــ١٨٢-١٨٣.أويتنج،رحلة داخل الجزيرة العربية،صـــ١٥٥

[١١] سهيل صابان مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني بيروت الطبعة الأولى،٢٠١٣م،جداول للنشر ،صـــ٤١٥-٤١٧

[١٢] للمزيد من التفصيلات عن هذه الأسواق يرجع لكتاب السديري، وادي النفاخ، المرجع السابق.فقد تناول المؤلف بحكم معرفته العميقة بالمنطقة تلك الأسواق ومسمياتهابالتفصيل.

[١٣] يقصد بالأخاوة أو الخوة قدر يجعله بعض أهل الحاضرة لأهل البادية نظير حمايتهم غنمهم وبقرهم في المراعي من الآخرين وقد يكون تمر أو مال أو غيره.

[١٤] فالين،صور من شمالي الجزيرة ، ،صـــ٥٤-٥٥ -٥٦.الزعارير إمارة آل رشيد،صـــ٩٤-٩٥

[١٥] فالين،صور من شمالي الجزيرة ، ،صـــ٥٦-٥٧.الزعارير إمارة آل رشيد،صـــ٩٤-٩٥

[١٦] نواف ذويبان الراشد ،تاريخ منطقة الجوف،الرياض،الطبعة الأولى،١٤٢٥هـــ،مكتبة الملك فهد، ،صـــ١٠٠-١٠١-١٠٢-١٠٣-١٠٤-١٠٥-١٠٦.البلوي،العثمانيون في شمال الجزيرة،صـــ١٤١-١٤٢-١٤٣

[١٧] فهد المارك ،من شيم العرب،جـــ٣،دم،دط،١٨٨٣هـــ،صـــ٦٥-٧٣

[١٨] الأنصاري ،الجوف قلعة الشمال،صـــ٤٩-٥٠.أويتنج،رحلة داخل الجزيرة،صـــ٢١-٢٢

[١٩].الجاسر،في شمال غرب المملكة،صـــ١٣٢-١٢٤.البلوي،العثمانيون في شمال الجزيرة،صـــ١٤٤-١٤٥-١٤٦.السديري،وادي النفاخ،صـــ١٣٥-١٣٦-١٣٧-١٣٨

[٢٠] سهيل صابان ،مداخل بعض أعلام الجزيرة،صـــ٤١٥-٤١٧

[٢١] توماس إدوارد لورنس،أعمدة الحكمة السبعة،عمان،الطبعة الأولى،١٩٩٨م،الأهلية للنشر والتوزيع،صـــ٢٠٤

[٢٢] التنوخي ،الرحلة التنوخية،صـــ٤٠-٤٢-٤٣-٤٤-٤٥

[٢٣] العطية،أوراق جوفية،صـــ١٨٢-١٨٣-١٨٤-١٨٥-١٨٦-١٨٧

[٢٤] التنوخي ،الرحلة التنوخية،صـــ٥٢

[٢٥] البلوي،العثمانيون في شمال الجزيرة،صـــ١٤٠-١٤١

[٢٦] تاريخ الجوف،نواف الراشد،صـــ١٠٦-١٠٧

[٢٧] الجاسر،في شمال غرب الجزيرة،صـــ١٢٣-١٢٤

[٢٨] التنوخي،الرحلة التنوخية،صـــ٤٠-٤١-٤٢-٤٣-٤٤-٤٥

[٢٩] البلوي،العثمانيون في شمال الجزيرة،صـــ١٤١-١٤٢-١٤٣

[٣٠] محمد عبدالله الشواطئ والقصور والمنازل والبيوت الأثرية والتراثية في المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٣٢هـــ، الهيئة العامة للسياحة والآثار، صـــ٣١-١٠٦

[٣١] التنوخي،الرحلة التنوخية،صـــ٣٨-٣٩

[٣٢] التنوخي،الرحلة التنوخية،صـــ٣٨-٣٩.وصفي زكريا عشائر الشام،صـــ٣٧٠-٣٧١

[٣٣] الليدي آن بلنت،رحلة إلى بلاد نجد،ترجمة محمد أنعم غالب،الرياض،الطبعة الثانية،١٩٧٨م،منشورات دار اليمامة،صـــ١٣-١٤-١٥-١٦

[٣٤] أوبنهايم،البدو ،جـ١،صـ١٣٢-١٣٣.السديري،وادي النفاخ،صـ١٣٢

[٣٥] البلوي،العثمانيون في شمال الجزيرة،صـ١٥٢-١٥٣-١٥٤-١٥٦-١٥٧.أوبنهايم،البدو ،جـ١،صـ١٣٢-١٣٣

[٣٦] البلوي،العثمانيون في شمال الجزيرة،صـ١٥٢-١٥٥-١٥٦-١٥٨-١٧٠-١٧٨.

[٣٧] وصفي زكريا،عشائر الشام ،صـ٣٧٥-٣٧٦-٣٧٨-٣٧٩. البلوي،العثمانيون في شمال الجزيرة،صـ١٩٠-١٩٦-١٩٧-١٩٨.ألويس موسيل،آل سعود، ترجمة فايز السعيد،الرياض،دط،١٤٢٤هـ،الدار العربية للموسوعات،صـ٣١-٣٢

البلوي،العثمانيون في شمال الجزيرة،صـ١٩٠-١٩٦-١٩٧-١٩٨

[٣٩].البلوي العثمانيون في شمال الجزيرة،صـ١٤٠-١٤١.نواف الراشد تاريخ الجوف،صـ١٠٤-١٠٥-١٠٦.الزعارير،إمارة آل رشيد،صـ٢٠٢-٢١٢-٢١٥.مجموعة باحثين،فصل من تاريخ وطن وسيرة،الجوف،الطبعة الأولى،١٤٢٨هـ،مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية بالجوف،صـ٢٨٣-٢٨٤

[٤٠]. البلوي،العثمانيون في شمال الجزيرة،صـ١٦-٢٦،صـ٢٠٨-٢١١،صـ٢٢٩.لورنس،أعمدة الحكمة،صـ٢٠٤-٢٠٥. ألويس موسيل،آل سعود،صـ٣٣.عبدالله فلبي، قطعة من تاريخ العرب،ترجمة خيري حمادة،بيروت،دط،١٩٦١م،المكتب التجاري للطباعة والنشر،صـ١٢٦-١٢٧،السديري،وادي النفاخ،صـ٢١٥

[٤١] ألويس موسيل، آل سعود، صـ٣٣. البدو، أوبنهايم، جـ١، صـ١٣٦-١٣٧، صـ١٧٨. عبد اللطيف محمد الصباغ، بريطانيا ومشكلات الحدود بين السعودية وشرق الأردن ، القاهرة، دط،١٩٩٩ م، مكتبة مدبولي ، صـ٥٨-٦٤،.الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، صـ١٢٨. العطية، أوراق جوفية، صـ٢٠٧-٢٠٩ البلوي، العثمانيون في شمال الجزيرة، صـ١٦، صـ٦٤، صـ١٣٥- ١٣٧ . وصفي زكريا، عشائر الشام، صـ٣٧٦.